# من تاريخ حيفا العثمانية
## دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي

للدكتور محمد عدنان البخيت

في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م عندما كان الداعية الاسماعيلي ناصر خسرو (١) ( ت ح ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ) في طريقه من مرو الى القاهرة ، مركز الدعوة الفاطمية آنذاك ، مرّ بحيفا (٢) التي يصفها لنا بقوله : « ثم غادرتها ( اي عكة ) الى قرية تسمى حيفا في طريق به كثير من الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم، والمسمى بالرمل المكي . وحيفا مشيّدة على البحر، وبها نخل واشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي » (٣) . وبعد ذلك بقرن من الزمان يشير الجغرافي ابو عبد الله محمد بن محمد الادريسي الحسني (٤) (ت ٥٦٠هـ/١١٦٠م ) اليها بقوله : « وحيفا تحت طرف الكرمل، وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى حسن لارساء الاساطيل وغيرها . ومدينة حيفا هي فرضة لطبرية وبينهما ثلاث مراحل خفاف » (٥).

ان هذه الصورة المشرقة لحيفا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تنعكس وتبدو مكفهرّة في المصادر العربية، وذلك بسبب الخراب الذي لحق بها بعد استرجاعها من ايدي الفرنجة : فهذا شهاب الدين ياقوت الحموي ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) ، لا يذكر شيئا عن صناعة السفن فيها، ولا يشير الى مرساها؛ وجلّ ما يسجّله لنا عنها على انها « حصن على ساحل بحر الشام، قرب يافا، ولم يزل في ايدي المسلمين الى ان تغلّب عليه كندفري (٦) الذي ملك القدس في سنة ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م وبقي في ايديهم الى ان فتحه صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م (٧) وخرّبه (٨) . ولم تمكث حيفا طويلا في ايدي المسلمين، اذ استرجعها الفرنجة منهم . والجدير بالذكر أن

الملك لويس التاسع، حوالي سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٥١م، حصّن فيها القلعة التي تعرّضت للخراب ثانية على يد المماليك، وذلك في سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م . فيذكر القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ( ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م ) ، في اخبار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، ما يلي : « وفي سادس وعشرين جمادى الاول ( ٢ آذار ١٢٦٥م ) توجّه السلطان ( الظاهر بيبرس ) الى جهة عتليت جريدة وسيّر الامير شمس الدين اقسنقر السلاح دار الظاهري والامير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهري الى حيفا، فساروا اليها ودخلوا قلعتها، فنجا الفرنج بانفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم وأسر ، واحضرت الاسارى والروس ، واخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها، وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس، وكان أخذها وما اعتمد فيها من قتل وأسر واخراب واحراق في يوم واحد، وعاد الامراء سالمين » (٩) . ويؤكد على هذه الصورة من الخراب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ( ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ) الذي ينقل عنه الكاتب الموسوعي شهاب الدين أحمد القلقشندي ( ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) ، وصفه لحيفا بهذه الكلمات : « وهي خراب على الساحل » (١٠) والى مثل ذلك اشار البحارة العثماني بيري محيي الدين ريس (١١) ( ت ح ٩٦٢هـ / ١٥٥٤/١٥٥٥م ) ، في مؤلفه : **كتاب بحرية** ، الذي قدمه سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥/١٥٢٦م الى السلطان سليمان القانوني ، حيث ذكر أن قلعتها مدمرة لكن ميناءها يصلح للرسوّ (١٢) .

كانت حيفا في العهد المملوكي جزءا من عمل اللجّون (١٣) الذي كان تابعا لصفد، والتي هي بدورها كانت تشكل القاعدة الخامسة من قواعد المملكة الشامية (١٤)، ولم تتبدل هذه التبعية في العهد العثماني . فمن المعروف أن العثمانيين بعد قضائهم سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، على حركة العصيان التي قادها ضدهم الامير المملوكي جان بردى بن عبد الله الغزالي المولى على دمشق « ومعاملاتها » (١٥) ، من قبل السلطان سليم الاول ، قسموا بلاد الشام الى ثلاث ولايات : ولاية حلب ، ولاية طرابلس الشام، وولاية دمشق الشام . وقسمت

الولاية الاخيرة الى عـــدد من السناجق ( الالوية ) هي : دمشق ، تدمر ، عجلون ، الكرك ( كانت في معظـــم الاحيان تدمج مـــع عجلون ) غزة ، القدس الشريف ، نابلس ، صفـــد واللجون (١٦) . وعنـــد العودة الى دفاتر الطابو ( الاراضي ) العائدة الـــى سنجق اللجون نجدها تذكر حيفا كقرية في ناحية ساحـــل عتليت الغربي التابـــع للسنجق المذكور . ولعله من المفيد هنا أن نقارن المعلومات الواردة عن حيفـــا في دفترين من دفاتر الطابو : الاول منهما (١٧) يعـــود تاريخه الى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، اما الثاني (١٨) فيرجع تاريخـــه الى سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م .

---

## الضرائب مقدرة بالاقجة وهي ربـــع المحصول الشتوي

| رقم الدفتر وتاريخـــه | عدد السكان خانة (١٩) | حنطة غراره | شعير غراره | خراج اشجار زيتون + تين | رسم معزة | رسم نحل | بادهوا | معادية | محصول اسكلة ( ميناء ) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٢ ( اسطنبول ) | ٢٠ مسلمون ٢٥ | | ١٠ | ٧٥ | ٦٣ | ٢٩٣ | ٢٠٠ | ٤٠٠ | ١٠٠٠ |
| ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م | | ٣٠٠٠ | ٧٢٠ | | | | | | + محصول اسلكة ساحل عتليت |
| ١٨١ ( انقـــرة ) | ٣٢ مسلمون ٤٠ | | ٢٠ | + كروم وغيره | + نحل | | بادهوا + رسم عروس | | وطيونه وطرطور |
| ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م | | ٥٦٠٠ | ١٦٠٠ | ١٠٠٠ | ٣٥٠ | | ٣٥٠ | | ٥٠٠٠ ( خاص شاهي ) |

نلاحظ من هذين الاحصائين انه خلال العهد العثماني من القرن السادس عشر الميلادي أن عدد السكان بحيفا كان قد تضاعف . وهذه الزيادة العالية جاءت متفقة مع ظاهرة زيادة السكان التي شهدتها ولاية دمشق حتى مطلع سبعينات القرن السادس عشر ، الا أن سكان حيفا لم يتناقصوا على غرار ما لوحظ في ولاية الشام (٢٠) . ولقد واكب هذه الزيادة ارتفاع في كميات الضرائب المحصلة اذ ارتفعت من ٤٧٥١ اقجة (٢١) بموجب الدفتر الاول الى عشرة آلاف اقجة حسبما جاء في احصاءات الدفتر الثاني . بجانب ذلك نلحظ ارتفاع الاسعار ، فمثلا كانت غرارة (٢٢) الحنطة تقدر بمائة وعشرين اقجة سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م فأصبحت تقوم بمائة واربعين اقجة بعيد نهاية القرن . وعلينا أن نتذكر هنا ، أن الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي قد بدأت تعاني من أزمة تضخم مالي كبيرة ، اذ أن عملتها الفضية لم تعد قادرة على مواجهة ضغط العملات الاوروبية خاصة الفلوري الايطالي الذهبي الذي بدأ يغزو الاسواق العثمانية المفتوحة نتيجة لتدفق كميات ضخمة من الذهب والفضة من أمريكا على أوروبا . وكان اجتهاد الدولة العثمانية الذي الحق الضرر الكبير بعملتها يتلخص بانتقاص كمية الفضة في تلك العملة ، فارتفعت نتيجة لذلك اسعار السلع وبهذا ضعفت القوة الشرائية للاقجة (٢٣) .

كما نرى من قائمة الضرائب المدونة سابقا ، أن الدولة العثمانية كانت تأخذ ربع الحاصل الشتوي عينا أو قيمته نقدا (٢٤) . أما فيما يتعلق بأشجار الزيتون فلقد نص قانون لواء اللجون على ما يلي : اذا كان الزيتون روماني فنصف حاصله يعطى للسباهية ، أما اذا كان الزيتون اسلاميا فلقد كانت الدولة تجبي اقجة عثمانية واحدة عن كل شجرتين . وكانت الدولة تأخذ عن كل مائة شجرة من الكرمة خمس اقجات عثمانية . والجدير بالملاحظة أن الضريبة على الاشجار يشار اليها في هذه الدفاتر بالمصطلح الاسلامي المعروف « خراج » (٢٥) . أما الضريبة المحصلة عن الماعز فيشار اليها باسم « رسم » والقاعدة التي اتبعت في جبايتها أن تؤخذ اقجة واحدة عن كل راسين من

الماعز (٢٦) . والطريف أن العثمانيين كانوا يجبون رسوما على المناحل بمعدل اقجة واحدة عن كل منحلة (٢٧) . ويلمس الدارس لدفاتر الطابو المتعلقة ببلاد الشام أن تربية النحل كانت منتشرة في هذه البلاد .

لقد شهدت المحاكم في بلاد الشام في العهد العثماني اجراءات جديدة تتمثل في جمع رسم محدد عند النظر في الدعاوى والقضايا ، او عند عقد نكاح وكذلك عند تسجيل حجة . فكانت الرسوم التي تجمع عند عقد نكاح بكر أو مطلقة او ارملة يطلق عليها اسم « رسم عروس » (٢٨) كان جزء من هذه الرسوم يخصص للقاضي ولمن يعمل معه في المحكمة والقسم الاكبر كان يعطى لاصحاب « الخاص » أو « الزعامت » او « التيمار » حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو لكل بلدة او موقع . اما الضرائب الطارئة والمتفرقة وهي تشبه ما كان يشار اليه في العهد العباسي باسم « الطيارات » ، فان المصادر العثمانية عادة ما تعبر عنها بالمصطلح الفارسي « بادهوا » (٢٩) . وعند وقوع جريمة قتل او سرقة او انتحار فان الدولة كانت تأخذ من المسؤولين عن تلك الجريمة رسوما تعرف باسم « رسم جرم وجناية » . اما اذا كان المتسببون بذلك مجهولين فان اهالي الحارة كانوا يجبرون على دفع تلك الرسوم (٣٠) .

اذا ما اجلنا النظر في قائمة الضرائب المدونة سابقا نجدها تشير الى ضريبة تسميها محصول اسكلة (٣١) ( ميناء ) . واذا ما عدنا الى قانون نامه لواء اللجون فاننا لا نجد نصا يوضح القاعدة التي كان يتم بموجبها جمع هذه الضريبة . الا ان قانون نامه لواء الشام ، لحسن الحظ ، يحدد بالتفصيل مقدار الرسوم المحصلة سواء على المواد المصدرة او المستوردة ويشير الى ذلك بما يلي : « يطلق على ما يجبى من جمارك ورسوم وغيرها من الواردات عند ابواب الموانىء الكائنة في ولاية الشام كبيروت وصيدا وصور وعكة ويافا ، يطلق عليها اسم موجب باب الميناء . ويزودنا قانون نامه المذكور أعلاه بقائمة طويلة ومفصلة باسماء السلع والمواد المستوردة او المصدرة ومقدار الرسم المتوجب عليها مبينا القاعدة

المتبعة في تقدير قيمة البضاعة والرسم المستحق (٢٢) . وهناك ضريبة تذكر في الدفتر الاول فقط بينما لا يذكرها الدفتر الثاني ، حيث ترد باسم معادية وليس لدينا معلومات عنها ، ولربما كانت المعادية تشبه الضريبة التي كانت تجمع في لواء نابلس من المسلمين باسم « رسم رجالية » بمعدل ٤٠ اقجة على الخانة المسلمة الواحدة (٢٣) . واخيرا فان هذين الدفترين لا يشيران الى ضريبة تجمع عن اشجار النخيل في حيفا مما يدل على عدم وجودها ، هذا مع العلم ان ناصر خسرو كما راينا في رحلته يشير اليها في حيفا بقوله : « وبها نخل واشجار كثيرة » .

ان كلا الدفترين يشيران الى أن قرية حيفا كانت من ضمن اقطاع اسرة آل طراباي (٢٤) التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الاسرة الحارثية (٢٥) . فالدفتر الاول يذكرها من ضمن الاقطاعات التي اعطتها الدولة العثمانية « لامير الدربين » طراباي بن قراجة . كما ان الدفتر الثاني يبين ان ريعها كان موزعا ما بين احمد وعلي : ولدي طراباي ووكيلهم ( كتخداهم ) داؤد . هذا بالاضافة الى خمس مزارع جوار حيفا بلغ مجموع ما يتوجب منها سبعة آلاف اقجة موزعة بين ثلاثتهم (٢٦) . الا انه من الملاحظ أن هذه الاسرة لم تسع الى تطوير ميناء حيفا واستغلاله تجاريا مع أوروبا التي نمت تجارتها مع سواحل بلاد الشام في مطلع القرن السابع عشر ، على غرار ما اقدم عليه معاصرهم فخر الدين المعني في تطوير وتوفير الامن في موانىء بيروت وصيدا وعكا . بل كانوا في سياستهم تلك يلتقون الى حد بعيد مع سياسة الزعيم السني يوسف باشا سيفا ( ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م ) في طرابلس (٢٧) في عدم اكترائه بتشجيع التجارة مع الاروبيين . بل اكثر من ذلك فان احد الاحكام الشريفة المرسلة من السلطان الى قاضي اللجون بتاريخ ١٧ شوال ١٠١٩هـ / ٢ كانون الثاني ١٦١١م ، يشير الى ان تجار الافرنج الذين كانوا يفدون على حيفا للتجارة كانوا يتعرضون للأذى والخطر من جانب امير اللواء وآخرين من رجاله . لذا فان هؤلاء التجار لم يعودوا يرتادون حيفا وان الحكم يطلب من القاضي ان يمنع امير اللواء ورجاله من التعرض بأي اذى لهؤلاء التجار (٢٨) .

ويمكننا القول انـــه نتيجة للصراع الذي نشب ما بين الامير فخـــر الدين المعني والامير احمـــد الحارثي ( ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م ) فان حيفـــا قد اصيبت باضرار بالغـــة . ففي سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م تبين لفخر الديـــن المذكور ، زعيـــم الجناح القيسي في بـــلاد الشام ، ان احمـــد الحارثي ، زعيم الجناح اليمني آنـــذاك ، يعمل ضده فأرسل فخر الدين احـــد رجاله « نصوح بلوكباشي مسك برج حيفـــا » فما كان من علـــي الحارثي : شقيق احمـــد ، الا ان اغار على ساحل عكـــا واخـــذ طرشه وعاد الى بلاده مارا على حيفـــا فطلع اليه ولاقاه نصوح بلوكباشي بسكمانيته وبيرقه في برج حيفـــا لان الامير كان اوقفه فيـــه كما ذكرنا ، وحاربه وقصد بذلك اخـــذ الطرش منه واستخلاصه فركضوا عليـــه وعلى جماعته بالخيل وجماعة مشاة فقتـــل نصوح المذكور مع رجلين آخريـــن وانهزم الباقي الى البرج فدخـــل عليهم الوهم ونزلوا في مركب وجاؤوا الى عكـــا (٣٩) . . . وصارت عرب الامير احمـــد بن طرباي تغير على بـــلاد كفركنا وتأخـــذ طرشها وغلالها وصيرتها دكـــا واستمروا على ذلك الى ان وصل اليهـــم خبـــر كسرة عسكر الشام » (٣٩) في معركة عنجـــر (٤٠) . فبعد انتصار فخر الدين في تلك المعركة ، قـــام في شهر شعبان ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م بالتوجـــه الى شمالي فلسطـــين حيث اعادها الى سيطرته وكـــان من ضمن ذلك حيفـــا . « وابقى في برج حيفا ترتر حمزه بلوكباشي وحط عنده عازقا (٤١) يكفيه وعمل الامير فخـــر الدين في هذه المنزلة اوتراق (٤٢) ثلاثة ايام » (٤٣) وكانت قـــد جرت اتصالات للصلح ما بـــين المعنيين والحوارث « وفـــي عاشر شهر شوال ( ١٠٣٣هـ / ٢٧ تموز ١٦٢٤م ) صار بين الامير فخـــر الدين وبين الامير احمـــد بن طرباي مكاتبات ومراجعـــة ومراســـلات وحصل الاتفاق بينهما أن الامير فخـــر الدين بن معن يرفع سكمانيتـــه من برج حيفـــا وان الامير احمـــد بن طرباي يمنع عربانه عـــن التخريب في بـــلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعـــد ، ففعل كل منهما ذلـــك ، غير ان الامير احمـــد بن طرباي ارسل هدم برج حيفا المذكور بعـــد خروج السكمانية منـــه ومشت الدروب بين بـــلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد احـــد يتعرض الى احـــد » (٤٤) فلربما بسبب هذا الخراب نرى احمـــد

الحارثي يخرج عن سياسته التقليدية القائمة على عدم الاهتمام بالميناء فنجده يسمح لاحد الرهبان الكرمليين سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م ببناء مساكن في الميناء ويعطيه بذلك دستورا يقول فيه : « ... وكذلك في الميناء يعمر ما يحتاج اليه من المساكن واعطيناه دستور في ذلك ، فبموجب ذلك لا أحد يعترض لهم في ذلك بوجه من الوجوه لا من اهل البلد ولا من غيرهم من العربان والفلاحين وكل من يعترض لهم لا يلوم الا نفسه والحذر من المخالفة في ذلك ، وذلك جرى في اواخر شهر جمادى الاول سنة واحد واربعين بعد الالف » (٤٥) . وكما يبدو أن هذه التجربة لم يكتب لها النجاح اذ أن هناك بعض الاشارات تفيد انه بدا يضايق الرهبان بل زيادة على ذلك سجن أحدهم ولم يطلقه الا بعد ان دفع ذاك الراهب لاحمد الحارثي فدية عن نفسه (٤٦) .

كانت الدولة العثمانية السنية تنظر بمزيد من الحذر لتحركات الاقليات من الجماعات والطوائف غير السنية في بلاد الشام خاصة في منطقة الشوف وجبل عاملة والجليل الاعلى . فلقد كان سكان هذه المناطق خاصة جنوبي لبنان وشمالي فلسطين ، خليطا من الدروز والشيعة الاثني عشرية ( المتاولة ) والعناصر المسيحية التي كان من ابرزها الموازنة الذين دابوا على الهجرة من الشمال الى الجنوب بتشجيع من فخر الدين المعني الثاني ، هذا اذا اخذنا ايضا بعين الاعتبار الهجرة اليهودية في القرن السادس عشر (٤٧) الى منطقتي طبرية وصفد . يضاف الى كل ما ذكر اعلاه تواجد العناصر البدوية ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ان نسبة العناصر السنية المستقرة كانت في تلك المنطقة ضئيلة بالنسبة لمجموع السكان . فمن أجل معالجة هذا الامر نجد ان الدولة العثمانية تحاول سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م ، بعد هروب فخر الدين المعني الى تسكانيا ، اجراء تنظيم اداري جديد في ولاية دمشق الشام . فاقتطعت ناحيتي صيدا وبيروت ولواء صفد وشكلت منها ولاية جديدة عرفت باسم ولاية صيدا ، وكانت الغاية الاولى من وراء ذلك مراقبة وضبط حركات الدروز (٤٨) . الا ان الحياة لم تكتب لهذه المحاولة اذ أن الدولة العثمانية عادت وصرفت النظر عنها واعادت الولاية الجديدة

الى ما كانت عليه في السابق من حيث تبعيتها لولاية دمشق الشام . والمحاولة الثانية التنظيمية جاءت سنة ١٦٦٠م وهدفت كالاولى الى ضبط العناصر المحلية من المعنيين والشهابيين والحمادية والشيعة وكانت كما وصفها المطران الماروني اسطفان الدويهي ( ت ١٧٠٤م ) مشيرا الى خطورة خطوة الوزير محمد باشا كوبريلي والي دمشق الشام آنذاك : « ... وحتى يحطم ذراع اولاد العرب عمل صيدا باشاوية وكتبها على علي باشا الدفتردار » (٤٩) . وبالرغم من هذا التنظيم الاداري الجديد ظلت حيفا جزءا من لواء اللجون وتابعة لولاية دمشق الشام مع العلم ان مساحات كبيرة من الاراضي المحيطة بحيفا بما في ذلك خليجها الشمالي ، كانت قد ضمت الى اراضي الولاية الجديدة . وربما كان هذا من حسن حظ حيفا اذ انها بسبب بعدها عن عين سلطة دمشق اصبحت مأوى للقراصنة وللتجارة المهربة حتى اصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » . فأخذت السفن تقصدها متجاوزة عن عكا وصيدا وعلى الاغلب للتهرب من دفع الضرائب المستحقة او لشراء مواد لم تكن الدولة تسمح بالمتاجرة بها كالقمح والبارود وللتزود بالماء . وكان القنصل الهولندي في عكا طرفا في عملية التهريب تلك فكان ذلك مدعاة لاثارة حفيظة زميله القنصل الفرنسي نظرا للأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية التي كانت تعتمد مينائي صيدا وعكا . ونتيجة للشكاوى الفرنسية ، أصدرت الدولة العثمانية سنة ١٧١٦م فرمانا الى خليل باشا واليها في صيدا ، تشير فيه الى حركة القرصنة وتأمره ببناء عدد من الابراج حول ميناء حيفا في محاولة منها لوضع حد لعملية التهريب تلك . واستجابة لذلك قام الوالي المذكور بزيارة استطلاعية للمنطقة وكانت توصياته تتلخص باعادة بناء القلعة ولكن وفاته المفاجئة اجلت الموضوع الى ان استؤنف النظر فيه سنة ١٧٢٢م (٥٠) . وكان قرار الدولة العثمانية يتلخص في تعمير برجين على جانبي الخليج ، بدل اعادة تعمير القلعة نظرا لما كان يتطلبه اعادة بنائها من التكاليف الباهظة . وكلفت واليها عثمان باشا ابو طوق (٥١) في صيدا بالاشراف على تنفيذ هذا القرار .

فتم انجاز تعمير البرج الاول على الجهة الشرقية في سنة ١٧٢٣م وفرغ من اقامة البرج الثاني على الجهة الغربية من الميناء في سنة ١٧٢٥م . واقام عثمان باشا ابو طوق في كل منها ستة وثمانين من جنود المدفعية (٥٢) وستة وثلاثين من الجبجية (٥٣) ولقد زار الرحالة الانجليزي Richard Pococke حيفا سنة ١٧٣٧م واشار الى ان الهدف من وراء تشييد هذين البرجين ، كان صد هجمات القرصان . ومن خلال تفاصيل رحلته يلاحظ القارىء نشاط القرصان من مالطا في منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط (٥٤) . كل ذلك تم وحيفا ما زالت تابعة لولاية الشام ، فمن اجل تصحيح هذا الوضع ووضع الامور في اطارها الطبيعي صدرت اوامر الدولة في سنة ١٧٢٥م بضمها وضم طنطورة الى ولاية صيدا (٥٥) . ورغبة من الدولة في تعمير حيفا ، وعدت ستة من اصحاب الزعامات في سنجق اللجون وخمسة وثلاثين من اصحاب التيمارات في السنجق المذكور باعفائهم من دفع بدل رواتب الجنود الذين كان يجب عليهم توفيرهم على حسابهم الخاص مقابل حصولهم على تلك الزعامات والتيمارات ، فيما اذا انتقلوا وسكنوا في بيوت تقام لهم بالقرب من البرجين المذكورين . وزيادة في التشجيع على سكنى حيفا وعدت الدولة المسيحيين الذين ينتقلون للاقامة في حيفا باعفائهم من الجزية وكذلك من سائر التكاليف العرفية (٥٦) ، ولقد كانت الاستجابة من جانب اصحاب الزعامات والتيمارات والينكجرية كبيرة ، ويلاحظ انه بعد انتقالهم للسكنى في حيفا بداوا بالعمل في الزراعة مما جعلهم يصطدمون مع الاهالي من سكان حيفا ومع الفلاحين هناك . ولقد عقد اجتماع في اواخر صفر ١١٣٨هـ اوائل تشرين الثاني ١٧٢٥م ، برئاسة الوالي الحاج عثمان باشا ابو طوق المذكور اعلاه للنظر في الامر وللبحث عن حل للمشكلة . وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع على ان لا يتعرض الاهالي ولا الفلاحون اصحاب الزعامات في حراثة وفلاحة الاراضي المهجورة . وسجلت بنود هذا الاتفاق في حجة شرعية باللغتين العربية والعثمانية وحفظت نسخة منها في « الجبخانة » للعودة اليها . ونظرا لاهمية هذه الحجة فاننا نثبت نصها العربي التالي (٥٧) :

« لما انعقد المجلس الشرعي في القلعة المجددة موجب الفرمان العالي الشريف غربي اسكلة حيفا بحضرة جناب الدستور المكرم المشير المفخم ناظم مناظم الامم الحاج عثمان (٥٨) باشا محافظ ايالة صيدا حالا زاده الله رفعة واجلالا وبحضرة فخر الاشباه الحاج مصطفى (٥٩) حمود زاده ضابط (٦٠) اسكلة حيفا الملحقة باسكلة عكا (٦١) وفخري المستحفظين (٦٢) طوبجي ابرهيم اغا وجبجي باشي محمد اغا وشعبان اغا وفخر الاشباه حسين بيك اميرالاي (٦٣) سنجق اللجون حالا واميرالاي السنجق المزبور سابقا مصطفى زعيم (٦٤) الطيرة (٦٥) وحيفا وبحضرة الشيخ رافع (٦٦) والشيخ أحمد مرعي (٦٧) المتكلمين على اهالي حيفا وكافة الاسباهية والينكجرية الساكنين بقلعة حيفا الشرقية واحمد مصلح وسائر الفلاحين (٦٨) والاسباهية والينكجرية المرموقين . ان الشيخ رافع والسيد احمد مرعي مشايخ حيفا يتعارضونهم في اراضي ناحية حيفا قائلين وزاعمين انها لهم ولا يأذنون لهم في حرثها وزرعها وطلبوا دفعهم عنهم وعدم المنازعة لهم . فسئل من مشايخ حيفا المذكورين ومن فلاحيها عن ذلك فأجابوا منكرين المنازعة والمعارضة بل لسائر سكان القلعتين الشرقية والغربية ان يزرعوا ويحرثوا في اي ارض أرادوا زرعها وحرثها ان كانت من ارض السعادة (٦٩) او الحوارث (٧٠) وسائر اراضي احمد زيدان (٧١) واتباعه النازحين عن قريتهم واي ارض تركها اهلها ثلاث سنوات معطلة وغامرة من غير حرث ولا زرع لهم ان يحرثوا ويزرعوا ويتصرفوا بها كما شاءوا واختاروا شرعا وفرعا لا ينازعهم منازع ولا يعارضهم معارض ، فعندها كان من كلام جناب الوزير المشار اليه ان هذه الاراضي حيث تركها اهلها ونزحوا عن بلادهم رجعت رقبتها وتصرفها لبيت مال المسلمين وصار أمرها مفوضا لوكلاء حضرة السلطان نصره العزيز الرحمن ولضابطي المقاطعات ولما كان الامر كذلك ، صدر الامر منه ان من سكن في احدى القلعتين المزبورتين من الفلاحين والزراعين والحراثين وساير الرعايا على موجب الفرمان العالي الشان السلطاني وعمر بهما بيتا من حجر ومدر وسكن واستقر بهما لاجل محافظة بلاد المسلمين ونفوس المؤمنين ففي اي ارض حرث

وزرع من سائر اراضي سنجق اللجون لا يدفع من محصولاتها الا العشر الشرعي للمعشر كما هو مسطر في كتب الفقه ويكونون معافون ( كذا ) من جميع التكاليف الشاقة وغيرها ، فعندها التمس سكان القلعتين سندا شرعيا يكون بيدهم مخلدا فقرر مشايخ حيفا ان بلدهم خمسية ومن الآن كل من طلبوا منه ما هو متوجب عليه من المال فيفر عنهم ويسكن في احدى القلعتين فيلزم منه خراب بلدتهم ، فعندها صدر الامر من جناب الوزير المشار اليه ان من فر من اهالي حيفا وسكن باحدى القلعتين فمهما كان متوجب عليه من المال يدفعه لهم ولا ينازعهم من سكان القلعتين منازع ومن تاريخ هذا الكتاب من اراد السكنى من اهالي حيفا في احدى القلعتين فلا يواويه احد من سكانهما وارتضى كل من الفريقين على ذلك واقره كل منهم وانفصل الامر عليه والتمس كل منهما كتب هذا الصك وحفظه في كل من القلعتين في الجبخانة العامرة ليكون للفريقين سندا شرعيا فكتب ما وقع وحرر بالطلب في اواخر صفر الخير لسنة ثمان وثلاثين ومائة والف »

**شهـــــود**

| | | |
|---|---|---|
| **الحاج يوسف بيك** | **محمد بيك زعيم** | **ابراهيم بيك زعيم** |
| **رجب بيك** | **احمد بيك** | **عوض بيك** |
| **احمد بيك** | **قرا حسن طوبجي** | **يوسف جبجي** |

**وغيرهم**

لقد اتسم العهد العثماني في بلاد الشام ، مقارنة بغيره من العهود الاسلامية ، بتوفير الامن والحماية لسواحل تلك البلاد ، ولقد واكب ذلك ازدهار تجاري اوروبي مع السواحل الشامية ، فكان من النتائج التي ترتبت على ذلك ان السواحل التي كانت مهجورة منذ اخراج الفرنجة منها سنة ١٢٩١م ، قد دبت فيها حركة العمران ، ونتيجة للاغراءات التجارية ونظرا للانقسام الذي اصاب الكنيسة الارثوذكسية ، اصبحت العناصر السكانية ، خاصة المسيحية منها

تهاجر بالتدريج من الداخل الى الساحل الذي أصبح يكتسب سمة مسيحية بارزة.وزيادة على ذلك فان مراكز الثقل الحضاري والتجاري والفكري والسياسي قد بدأت أيضا تتحول تدريجيا عن الداخل نحو الساحل.ومن هنا لم يكن ظهور الزيادنة وأحمد باشا الجزار ثم دور مدن السواحل في القرن التاسع عشر والعشرين عفويا .

ان حركة العمران تلك التي عرضنا لها في حيفا لم تكن الوحيدة في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر بل ان هناك تجارب مشابهة ، والذي يهمنا أن ندعو اليه هنا انه من أجل فهم دقيق وموضوعي للقرن التاسع عشر ، أنه آن الاوان لدراسة القرن الثامن عشر من مختلف جوانبه لفهم حركة الاصلاح والتجديد ، قبل هبوب رياح الحضارة الاوروبية على المجتمع الشامي الاسلامي لتتركه على مفترق الطرق .

( ١ ) أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى المروزي من مواليد سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، عمل ، بعد دراسته مختلف فروع المعرفة المعروفة في عصره آنذاك موظفا في مرو وتقلب في عدد من المناصب ، الا أنه تركها وغادر مرو لاداء فريضة الحج ، وربما جاء ذلك تلبية لدعوة من الخليفة الفاطمي في القاهرة . بعد اقامة له بالقاهرة ادى فريضة الحج وعاد الى بلخ وهو يحمل « لقب الحجة في الدعوة » ، طارده السلاجقة فالتجأ الى مناطق يمكان حيث انصرف للتأليف والدعوة توفي سنة ٤٥٢ / ٤٥٣هـ ١٠٦٠/١٠٦١م ، حول مؤلفاته ورحلته أنظر :

E. Berthels, "Nasir-i : Khusraw" E. I. Vol. iii, PP. 869 - 70.

كذلك انظر المقدمة التي صدر بها يحيى الخشاب الترجمة العربية لسفر نامه ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥ ــ ٣٢ .

( ٢ ) حول حيفا انظر : "Hayfa" E. I , Vol. iii, PP. 324 - 6

انظر كذلك النصوص المجموعة منها :

Palestine Under The Moslems, by Guy Le Strange, Khayats, Beirut, 1965, P. 446,

وفي كتاب بلدانية فلسطين العربية للاب ا. س. مرمرجي الدومنيكي ، مطبعة جان دارك ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . أما عن حيفا في القرن التاسع عشر فانظر كتاب :

Laurence Oliphant, Haifa or Life in Modern Palestine, London, 1887.

اشكر الاستاذ عبد العزيز الدوري والدكتور عوض خليفات اللذين زودانى بنسخة مصورة عن هذا الكتاب ، كذلك انظر مقالة :

Archdeacon Dawling, "The Town of Haifa", Palestine Exploration Fund, Vol. (1914) PP. 184 - 91.

أما عن حيفا في مطلع القرن العشرين فراجع محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الحلبي ، ولاية بيروت ــ القسم الجنوبي ، مطبعة الاقبال ، بيروت ، ١٣٣٥هـ ، ص ٢٢٦ ــ ٢٧٠ .

( ٣ ) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٣ ، أما الجودي فهي مفردة قرآنية ترد في سورة هود في معرض قصة سفينة نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه وتعالى : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » آية رقم ٤٤ . وفسرت الجودي هنا بانها مكان حيث يذكر ياقوت ذلك بقوله « الجودي ... هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عم لما نضب الماء » ومثل ذلك يذكره ابن منظور الا أنه يضيف اليها معنى آخر نقلا من الجواليقي فيقول : « والجودياء بالنبطية او الفارسية الكساء » وذكرت الكلمة في بيت من الشعر بمعنى « جبة السمور » حتى هنا نرى ان هذه اللفظة لا تستخدم بمعنى السفينة والجدير بالذكر ان شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر

البناء البشاري المقدسي ( ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ) عند تعداده لبعض أنواع السفن لا يذكر الجودي ، زيادة على ذلك لا يأتي على ذكر حيفا عند تناوله اقليم الشام . كما أن حبيب الزيات في مقالته « معجم المراكب والسفن في الاسلام » لا يذكرها ، وعند العودة الى كتاب جورج فضلو حوراني فانه لا يذكر الجودي ، راجع موهوب ابن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ( ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ) **المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم** ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، طبعة الاونست ، طهران ، ١٩٦٦م ، ص ١١١ ، انظر **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، تحقيق دوغويه ليدن ١٩٠٦م ، ص ٨١ ، ص ١٥١ — ١٩٢ ، **معجم البلدان** ، ٦ م تحقيق فردناند وستفيلد ، طبعة مصورة ، طهران ، ١٩٦٥م ، م ٢ ، ص ١٤٤ ، **لسان العرب** ، ١٤ م ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٥ — ١٩٥٦م ، م ٣ ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، حبيب الزيات ، «معجم المراكب والسفن في الاسلام» ، **المشرق** ، م ٤٣ ، ( ١٩٤٩م ) ص ٣٢١ — ٣٦٤ .

George Fadlo Hourani, Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, Khayats, Beirut, 1993.

( ٤ ) حول حياة الادريسي انظر :

G. Oman, "al-Idrisi" II[2] Vol. iii, PP. 1032 - 5.

( ٥ ) الادريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، المجلد الرابع ، روما ، ١٩٧٤م ، ص ٣٦٥ .

( ٦ ) كندفري المقصود به هو Godfrey de Bouillon ( ١٠٦٠ — ١١٠٠م ) دوق لورين الدنيا ، كان قد استجاب مع اخوته لنداء البابا أوربان الثاني في ارسال حملات صليبية لاستخلاص قبر السيد المسيح من أيدي المسلمين ، وشارك في حصار القدس والدخول اليها في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩م ، حيث وقع عليه الاختيار ليكون أول ملك فرنجي للقدس ولكنه رفض لقب ملك واكتفى بلقب :

Advocatus Sancti Sepulchri

ولقد كانت وفاته يوم الاربعاء في ١٨ تموز سنة ١١٠٠م وخلفه على ملك القدس اخوه بلدوين الاول انظر حول هذه الاحداث :

S. Runciman, A History of the Crusades, Vol. I, Cambridge U. P, PP. 112, 145 - 7, 280 - 6, 291 - 318

( ٧ ) ذكر ياقوت خطأ أن تاريخ استرجاع حيفا كان سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م والواقع كان ذلك بعد عشر سنوات من التاريخ الذي ذكره . حول ذلك انظر العماد الاصفهاني ، محمد بن صفي الدين ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ) ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، تحقيق وشرح محمد محمود صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٩٤ ، حيث يذكر أن حيفا استسلمت الى بدر الدين دلدرم وغرس الدين قليج بعد فتحهم قيسارية .

( ٨ ) ياقوت ، **معجم البلدان** ، م ٢ ، ص ٣٨١ .

( ٩ ) حول هـذا الدمار الذي لحق بحيفا في عهـد السلطان الظاهر بيبرس ، انظـر محيي الدين بن عبـد الظاهر **الروض الزاهر في سيرة الملـك الظاهر** ، تحقيق ونشر عبـد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٢٣٤ ، وكذلك راجـع بيبرس الدواداري المنصوري ( ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م ) **زبدة الفكرة في تاريـخ الهجرة** ، المتحف البريطاني ، رقـم Add. 23325 ورقة ٧٠ ب ، راجع أيضا تقي الدين أحمـد بـن علي المقريزي ( ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ) ، **السلوك لمعرفة دول الملـوك** ، م ١ / ق ٢ تحقيق محمـد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨ ، والملاحـظ ان الشيخ قطب الدين يونس بـن محمد اليونيني ( ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م ) لا يذكر خبـر مهاجمة حيفا في أخبـار سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، انظر **ذيل مرآة الزمان** ، ٢ م ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، م ٢ ، ص ٣١٨ . أما أبـو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ( ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) فيشير الـى ان الظاهر بيبرس فتح قيساريـة « وتسلم قلعتها في يـوم الخميس الآخر خامس عشرة فعدمها وانتقل الـى غيرها » **البداية والنهاية** ، ١٤ م ، بيروت ، ١٩٦٦م ، م ١٣ ، ص ٢٤٤ .

( ١٠ ) القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشاء** ١٤ م ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب المصرية ١٩١٣ ــ ١٩١٩م ، م ٤ ، ص ١٥٥ .

( ١١ ) حول حياة هـذا البحار انظر :

Franz Babinger, "Piri Muhyi al-Din Reis" E. I, Vol. iii, PP. 1070-71.

( ١٢ ) انظر هـذا الوصف في النص الذي ترجمه ونشره :

U. Heyd, "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, Vol. Vi, (1956), PP. 201-216.

( ١٣ ) حول اللجون انظر صدر الدين محمد بـن عبد الرحمن العثماني الدمشقي ( ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٦م ) حيث يذكره على انـه ولاية من العمل السابع في صفد وان أهلـه من عشـير يمـن

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, Vol. XV/3, (1953), P. 483.

انظر أيضا ياقوت ، معجـم ، م ٤ ، ص ٣٥١ .

( ١٤ ) حول صفـد المملوكية انظر العثماني المذكور أعلاه ، والقلقشندي ، **صبح الاعشى** ، م ٤ ، ص ١٤٩ .

( ١٥ ) حول هـذه الحركة انظر شمس الدين بـن طولون ( ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م ) **مفاكهـة الخلان في حوادث الزمـان** ، ٢ م ، تحقيق محمـد مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٤م ، م ٢ ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ، كذلك لنفس المؤلـف ، **اعلام الورى بمن ولـي نائبا من الاتراك بدمشق الشام الكبرى** ، تحقيق محمـد احمد دهمان ، دمشـق ، ١٩٦٤م ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٧ .

( ١٦ ) حول هـذه التقسيمات انظر :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine

1552 - 1615, (O. U. P.) 1960, P. 35.

( ١٧ ) هـذا الدفتر محفوظ بمديرية المحفوظات التابعة لرئاسة الوزراء باسطنبول ، تحت رقم ١٩٢ . والجدير بالذكر انه يوجد بنفس المديرية دفتر طابو اخر تحت رقم ١٠٣٨ ، غير مؤرخ يزودنا بالمعلومات التالية عن حيفا : « قرية حيفا تابع مرج بني عامر ، خانة ١٦ ، حاصل قسم من الربع »

| حنطة / غراره | شعير / غراره | خراج زيتون | خراج تين | رسم معزة | رسم نحل |
|---|---|---|---|---|---|
| | ٨ | | | | |
| ١٩٥٠ | ٥٦٠ | ١١٦٥ | ٥٠ | ١٣٥ | ٢٥٠ |

يكون ٤١١٠ ، ص ٢٢١ » ويبدو أن هـذا الدفتر اقدم بعض الشيء من دفتر رقم ١٩٢ م .

( ١٨ ) مديرية الاراضي والطابو بانقرة ، رقم ١٨١ . لقد استخدم كل من W. D. Hutteroth and K. Abdul Fattah

هذا الدفتر في دراستهما المعنونة باسم :

Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th, Erlangen 1977.

من دفاتر الطابو انظر ايضا :

O. L. Barkan, "Daftar-i Khakani : E. I.[2] Vol, ii PP. 81 - 3.

واما عن الدفاتر المتعلقة بالبلاد العربية انظر :

B. Lewis, the Archives as a Source for the History of the Arab Lands" JRAS, London, PP. 139 - 55.

Ibidum," Studies in the Ottoman Archives I. BSOAS, Vol. XVI / 3, London (1953) PP. 469 - 501.

هـذا بالاضافة الى الدليل الواسع الذي أعده :

Midhat Sertoglu, Muhteva Bakimindam Basvekalet Arsivi, Ankara, 1955.

اما بشأن مديرية محفوظات اسطنبول التابعة لرئاسة الوزراء ، انظر :

B. Lewis, "Basvekalet Arsivi" E. I.[2] Vol. i, PP. 1089 - 91.

( ١٩ ) الخانة : وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية ، والمقصود بذلك الاسرة ويقدر الدارسون لهذا الموضوع عدد أفرادها ما بين ٥ — ٧ اشخاص . أما الذين لم يكن لهم اسر فكانوا يدونون تحت عنوان مجردين أي غير متزوجين .

( ٢٠ ) حول سكان لواء دمشق الشام في القرن السادس عشر ، انظر :

M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century Ph. D. London, 1972, PP. 44 - 94.

( ٢١ ) الاتجة : الاسم الذي كان يطلق على وحدة النقد العثماني المضروبة من الفضة وتشير اليها المصادر الاوروبية عادة باسم أسبر المحرف عن اليونانية . حول تاريخ هذه الوحدة النقدية ، أنظر :

H. Bowen, "Akce" E. I. , Vol. I., PP. 317 - 8.

( ٢٢ ) كانت قرارة دمشق تزيد بقليل عن ٢٥٠ لتر ، حول ذلك أنظر :

B. Lewis, "Jaffa in the 16th Century According to the Ottoman Tahrir Registers" in Arabic and Islamic Studies in Honour of Hamilton A. R. Gibb, Leiden, P. 437, Footnotes.

( ٢٣ ) حول اسباب هذه المشكلة من التضخم وارتفاع الاسعار ، أنظر :

B. Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (O. U. P.) 1965, PP. 29 - 32.

وانظر أيضا :

Halil Sahillioglu, "Sivis Year Crises" in Studies in the Economic History of the Middle East, Edited by M. A. Cook, O. U., P. 1970, PP. 240 - 1

( ٢٤ ) انظر : O. L. Barkan, Kanunlar, Istanbul, 1945, P. 220.

( ٢٥ ) دفتري طابو ، ١٨١ ( أنقرة ) ، ص ٢ .

( ٢٦ ) المصدر والمكان ذاتهما .

( ٢٧ ) ينص قانون نامة لواء الشام على ما يلي :

"ve iki Kavana Bir Para resimolina" Barkan, Kanunlar, P. 220.

( ٢٨ ) حول هذه الضريبة أنظر :

B. Lewis, "Arus Resmi" E. I.[2] , Vol. I. P. 679.

وكانت القاعدة في دمشق الشام أنه عند عقد نكاح بنت بكر أن تأخذ الدولة مائة وخمسة وعشرين درهما ، عشرون منها تعطى للقاضي العثماني الحنفي ، ودرهم واحد للماذون الذي أجرى العقد ، واربعة للشهود ، أما المائة الباقية فكانت اما ان تحول للخاص السلطاني ، أو لخاص أمير اللواء أو لاحد اصحاب التيمارات حسبما يحدد ذلك دفتر الطابو . أما في حالة الارملة أو المطلقة فكان الرسم دون ذلك ويبلغ خمسة وسبعين درهما ، خمسة وعشرون منها توزع بالطريقة المشروحة أعلاه والباقي تحول اما للخاص أو لصاحب الزعامة أو للمستفيد من التيمار ، أنظر :

Bakhit, The Ottoman Province of Damascus, PP. 139 - 40.

( ٢٩ ) بادهوا (ريح الهواء) مصطلح فارسي مركب من كلمتين — باد — ريح وهواء العربية وهي الضرائب المتفرقة حول هذه الضريبة راجع :

B. Lewis, "Bad - i Hawa" E. I. , Vol. i, P. 850.

( ٣٠ ) حول هذه الضريبة انظر : Bakhit, The Ottoman Province, P. 140.

حول الغرامات والعقوبات التي تلحق المرتكب « للجرم والجنايت » في قانون العقوبات العثماني ، أنظر :

U. Heyd, Studies in Old Ottoman Criminal Law, Edited by V. L. Menage, (O. U. P.) 1973, P. 276.

( ٣١ ) كلمة اسكلة مفردة من اصل يوناني تفيد معنى التحميل والتنزيل ، دخلت الى اللغة الايطالية ومن طريق هذه اللغة وبسبب النشاط التجاري للمدن الايطالية تسربت هذه الكلمة للغة العربية على شكل « سقالة » والى اللغة التركية باسم اسكلة ــ اي الميناء . حول تاريخ هذا المصطلح البحري انظر :

H. Kahane and A Tietze, The Lingua Franca in the Levant, Turkish Nautical Terms of Italian and Greek Origin, Urbana, 1953, PP. 568 - 72.

انظر ايضا :

R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols, Brill, Leiden, 1881, Vol. i. P. 23

( ٣٢ ) J. Redhouse, Turkse - Ingilizce Sozlugu, Istanbul, 1966, P. 550.

Barkan, Kanunlar, PP. 224 - 6.

( ٣٣ ) طابو دفتري ١٠٣٨ ( اسطنبول ) ، ص ٢٣٥ .

( ٣٤ ) طابو دفتري ١٩٢ ، ص ٤ .

( ٣٥ ) حول هذه الاسرة انظر دراستي : الاسرة الحارثية في مرج بني عامر ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ــ ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م . المقدمة الى ندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، ايار ١٩٧٧ ، وكذلك مقالة :

M. Sharon, "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

( ٣٦ ) طابو دفتري ١٨١ ( انتمرة ) ، ص ١٩ .

( ٣٧ ) حول حياة ودور هذا الزعيم في مجريات الاحداث المحلية انظر محمد أمين بن فضل الله ( ت ١١١١هـ/١٦٩٩م ) خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير مكتبة خياط ، بيروت ، لا ، ت ، م ٤ ، ص ٥٠٣ وكذلك دراسة :

K. Salibi, "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640" Arabica, Vol. XX, (1973), PP. 25- 52.

كذلك مقالتي « احداث بلاد طرابلس الشام ١٠١٥ / ١٠١٦هـ ، ١٦٠٥ / ١٦٠٦م ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ١٧١ ــ ٢٠٦ والمصادر المذكورة في هذا المقال .

( ٣٨ ) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 129.

( ٣٩ ) الشيخ احمد الخالدي الصفدي ( ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م ) ، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

( ٤٠ ) المصدر ذاته ، ص ١٤٢ .

( ٤١ ) المازق ، محرفة عن أزيق التركية وهي المؤونة ، انظر رد هاوس ، ص ٨٢ ــ ٨٣ ( طبعة ١٩٢١ ) .

( ٤٢ ) أوتراق : الاقامة ، أنظر رد هاوس ، ص ٩٠٤ ( طبعة ١٩٦٨ ) .

( ٤٣ ) الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

( ٤٤ ) الخالدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨ ، يذكر طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩م) دون أن يذكر مصدره ان هدم البرج كان جزءا من بنود الاتفاق ، **أخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ٢ م ، تحقيق نؤاد أفرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠م ، م ١ ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ، يشير جميل البحري الى برج العجوز أو برج الزورة على انه « صخرة منتصبة على شاطىء البحر قيل أنها من بقايا برج حصين للمدينة القديمة » فلربما كانت هذه الصخرة من بقايا البرج الذي هدمه أحمد الحارثي . هذا مع العلم أن ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٥٠م هدم حيفا وبنى مدينة جديدة بالقرب منها أسماها العمارة الجديدة وانه بسبب ذلك وعلى الارجح ، لم يعن بالبرج القديم أنظر ، جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٢ ، ص ٥ ، كذلك راجع :

L. A. Mayer and J. Pinkerfeld, Some Principal Muslim Religious Buildings, Jerusalem, 1950, PP. 39 - 40.

( ٤٥ ) أنظر نص هذا الدستور في كتاب جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، ص ٥٠ ، ويذكر البحري أنه نقله من مخطوط موجود في مكتبة دير الكرمل .

( ٤٦ ) انظر محمود العابدي ، **صفد في التاريخ** ، عمان ، ١٩٧٧ ، ص ٧٠ .

( ٤٧ ) انظر حول ذلك : B. Lewis, "The Jews in Palestine in the 16th Century" in Notes and Documents From the Turkish Archives, Jerusalem, 1952, PP. 5 - 47, See also U. Heyd "Turkish Documents Concerning the Jews of Safed in the Sixteenth Century" in Studies on Palestine During the Ottoman Period, PP. 111 - 18.

(48) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, PP. 47 - 8.

( ٤٩ ) الدويهي ، اسطفان ( ت ١٧٠٤م ) ، تاريخ الازمنة ، تحقيق الاب فردينان توبل اليسوعي ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٩ ، حول منزلة اسطفان الدويهي التاريخية أنظر :

Kamal Salibi, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, PP. 89 - 160.

الشدياق ، **أخبار الاعيان** ، م ١ ، ص ٢٩٦ ــ ٢٩٧ ، راجع ايضا :

A. Rafeq, The Province of Damascus 1723 - 1783, Khayats, Beirut, 1966, PP. 3 - 4, 32.

( ٥٠ ) انظر : Amnon Cohen, Palestine in the 18th Century, Patterns of Government and Administration, Jerusalem, 1973, PP. 137 - 140.

وحول تواجد القناصل في الدولة الاسلامية انظر :
B. Spuler "Consul" E. I. Vol. ii, pp. 60 - 61.

والجدير بالذكر أن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ( ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م ) ، يعرف القنصل بقوله : « قلت ويعبر بـه عن الوكيل للكفار في بـلاد الاسلام » ، **تـاج العروس** ، م ٨ ، ص ٨٩ .

٥١ ) القبودان عثمان باشا أبـو طوق ( ت ١٧ ربيع الثاني ١١٣٩هـ / ٢٦ كانون الاول ١٧٢٦م ) ، كـان زوجا لشتيقة السلطان ، تولـى حكومة دمشق الشام أكثر من مرة ، وكذلك البصرة وصيـدا ، وأثناء توليه دمشق كـان أمير قافلة الحـاج الشريف أكثر من مـرة ومن هنا اكتسب لقب حاج . ولي أحـد أبنائه الذي كان زوجا لابنة السلطان صيدا وآخر ولـي القدس . اتسم عهده بدمشق بظهور فئـة أطلق عليها اسم العوانية ، ألحقت الضرر بالناس وابتزت أموالهم مما دفـع العامة بقيادة المفتي محمـد خليل البكري الصديقي ( ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م ) الى أن يهاجموا العوانية « فمنهم من قتل ومنهم من صلب وأخبروا الدولة العلية بما وقـع وصدر » ، حول أوضاع بـلاد الشام في عهده أنظر ، محمد بـن جمعه المقار ( ت ح ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م ) ، **كتـاب الباشات والقضاة** نشره صلاح الديـن المنجد مع نصوص أخرى **باسم ولاة دمشق في العهـد العثماني** ، دمشـق ، ١٩٤٩م ، ص ٥٧ ـ ٦٠ ، الشدياق ، **أخبـار الاعيان** ، م ١ ، ص ٥٧ ، م ٢ ، ص ٣١٦ ، حيدر احمـد الشهابي ( ت ١٨٣٥م ) **الغرر الحسان في أخبـار أبناء الزمان** ، تحقيق أسـد رستم وفؤاد أفرام البستاني ، م ٢ ، ص ١٧ ، عبـد الكريم رافق ، **بـلاد الشام ومصر** ، دمشـق ، ١٩٦٨م ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، ولنفس المؤلـف :
The Province of Damascus PP. 77 - 85, 112 - 13.

يذكر عبد الامير محمـد أمين شخصا باسم الوزيـر عثمان باشا متسلما للبصرة **ما بين ١٧١٢ ـ ١٧١٤م** ، **القوى البحريـة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر** ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ملحق رقـم ٣ ، ص ٩٣ ، حول حيـاة الشيخ البكري ، راجع محمد خليل المرادي ( ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ) **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ، م ٢ ، ص ٨٣ ـ ٩٧ .

( ٥٢ ) تذكر المصادر العثمانية جنـود المدفعية باسم طوبجو ، حول هـذا المصطلح انظر :
H. A. R. Gibb and H. Bowen, Islamic Society and the West, (O. U. P) 1963, Vol. i, Part i, PP. 66.7.

( ٥٣ ) الجبجية : الجنود الذيـن يلبسون الدروع ، انظر **المرجع السابق** ، الصفحة ذاتها .

( ٥٤ ) يصف ذلك بقولـه : "There are also ruins of a large building that seems to have been the castle ; and they have built two forts, as a defence against the corsairs", A Description of the East and some other Countries, Vol. ii, Part i. Observation on Palestine or the Holy Land, Syria, Mesopota-

mia, Cyprus and Candia, London, W. Bowyer, 1745, PP. 51, 56.

ولمزيـد من التفاصيل حول هذه الرحلـة انظـر :

Mohammad Ali Hachicho, English Travel Books About the Arab Near East in the Eighteenth Century, Leiden, E. J. Brill, 1965, PP. 35 - 8.

( ٥٥ ) امنين كوهين ، **المرجع ذاتـه** ، ص ١٤٠ .

( ٥٦ ) **المرجع ذاتـه** ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

( ٥٧ ) الحجة التي تثبت النص العربي منها هنـا وجدتها ملصقة في داخل دفتر الطابو رقـم ١٨١ الموجود في مديرية الاراضي بأنقرة ، وتاريخها « أواخر صفر الخير لسنة ثمـان وثلاثين ومائـة والف » بينما يشير امنين كوهين الى وثيقة مشابهة لهـا ضمن مجموعة المالية المدورة باسطنبول ولكن تاريخها ١٣ ربيـع الثاني ١١٣٨هـ / ١٩ كانون الاول ١٧٢٥م . انظـر كوهين ، **المرجع ذاتـه** ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ، وهامش رقـم ٩٦ .

( ٥٨ ) انظر هامش رقم ٥١ اعـلاه .

( ٥٩ ) لـم أعثر على ترجمة للحاج مصطفى حمـود زاده الا انـه كما يبدو أن عائلـة حمود الصيداوية خـلال مطلع القرن الثامن عشر قـد كانت تلتزم جباية الضرائب المتوجبة على عكـا وصور وصيدا وبيروت وبهـذا الخصوص يذكر عبـود الصباغ مـا يلي : « بما أن عكـا لم كانت في ذلك الوقت في يـد ضاهر بك كان ملتزمها علي اغـا حمود الذي كان مقيم في صيـدا ويلتزم من كل وزير يحضر عكـا وبيروت وصور اتلام صيدا ويرسل الـى الاماكن المذكورة متسلما من طرفـه » **الروض الزاهر في اخبـار ضاهر** ، المكتبة الوطنية ، بـاريس ، Arabe 4610 ورقـة ٩ أ .

( ٦٠ ) ان طبيعة عمـل الضابط من خلال هـذا النص ونصوص اخرى تبدو لنا انهـا تعني الالتزام بالضرائب ولكـن على نطاق ضيق ومحدود . وعلى الارجح انـه ليس ذا بعـد عسكري . وكان هـذا اللقب يطلق على الملتزمين بغض النظـر عن دينهم ، فمثلا يذكر حيدر أحمـد الشهابي أن فارس الدهان ( مسيحي ) كـان ضابط الكمرك لدى الجزار ، على أيـة حال فان الضابطية كمؤسسة بحاجة لدراسـة اوفى ، أنظر **تاريخ احمـد باشا الجزار** ، نشره الاب انطونيوس شبلي والاب اغناطيوس عبده خليفة ، مكتبـة انطوان ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص ١٠٣ ، انظر ايضـا :

B. Lewis, "Dabit". E. I.[2] , Vol. ii, P. 74.

( ٦١ ) حول تطوير عكـا في القرن الثامن عشر أنظر ، امنين كوهين ، **المرجـع السابق** ، ص ١٢٨ ـ ١٣٧ ، راجع ايضـا النصوص التي جمعها عنها الاب مرمرجي الدومينكي، **بلدانيـة فلسطين** ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ كذلك انظـر :

F. Buhl, "Akka" E. I.[2] , Vol. i, P. 341.

( ٦٢ ) المستحفظان : هم الجنود الذين كانوا يوضعون لحماية القلاع .

( ٦٣ ) الآي كلمة تركية تعني مجموعة من العسكر ، أنظر : جب ، وبون ، **المرجع ذاته** ، م ١ ، ج ١ ، ص ١ ، ٥١ ، ١٤٥ .

( ٦٤ ) زعيم رتبة في نظام التيمار العثماني ، كان صاحبها يمنح اقطاعا من صنف الخاص ، **انظر المرجع السابق** ، ص ٤٦ ــ ٥٦ .

( ٦٥ ) في القرن السادس عشر كان هناك ثلاث قرى باسم الطيرة ، منها أولا قرية طيرة اللوز **تابع ساحل عتليت الغربي التي كان عدد سكانها سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، ٦٩ خانة ومجردين ، وقيمة حاصلاتها المستحقة ٢٠٣١٠ اقجة ( ص ٥ ــ ٦ ) ، أما في سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م ، فان عدد سكانها يتناقص الى ٥٢ خانة ، وكانت قيمة وربع حاصلاتها ٢٢٠٠٠ اقجة أما رسم الماعز والنحل المحصل منها فكان ٢٠٠** اقجة ومثل ذلك « البادهوا ورسم عروس » . خمسة عشر الف اقجة من هذه العائدات كانت مخصصة كجزء من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وكتخداهم ( وكيلهم داود ) . ( ص ١٨ ــ ١٩ ) ، أما الطيرة الثانية ، فكانت تعرف باسم الطيرة الشمالية عدد سكانها بموجب الدفتر الاول ثلاث خانات وقيمة ربع **حاصلاتها ١٩٤٢ اقجة . والطيرة الثالثة تذكر باسم الطيرة القبلية عدد سكانها** ٥ خانات وقيمة ربع حاصلاتها ١٩٧٠ اقجة ( ص ٢٩ ــ ٣٠ ) ، وبموجب **الدفتر الثاني تذكر الطيرة الشمالية والقبلية كمزارع من زعامات أحمد وعلي ولدي طراباي وقيمة ربع حاصلاتها في السنة ١٢٠٠٠ اقجة ( ص ١٧ ) . من هذا يظهر أن المقصود بقرية الطيرة هي المشار اليها باسم طيرة اللوز لان الاخيرتين** تحولتا الى مزارع . ويشير U. Heyd الى أن الامير عساف ال طراباي في سنة ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م ، كان قد بنى مسجدا في قرية الطيرة ، راجع :

U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, P. 110. n. 4

( ٦٦ ) ان كلمة شيخ الشائعة والمتداولة منذ زمن بعيد في التاريخ العربي الاسلامي ذات مدلولات مختلفة ، فعند النسابين تفيد معنى المتنفذ في العشيرة ، وبالنسبة للصوفية تعني من بلغ مستوى رفيعا في الطريقة ، ولدى أصحاب الحرف والاصناف تدل أيضا على المستوى الرفيع في تنظيمهم الهرمي ، وهي رتبة علمية في وسط العلماء . والملاحظ أن مثل هذا اللقب يشيع استعماله في ريف بلاد الشام بين الفلاحين والزراع ولا يقتصر استخدامه على المسلمين السنة فقط بل ان غيرهم من بعض الاسر الدرزية والمسيحية كان لها مثل هذا اللقب . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل لقب أمير وشيخ ومقدم الذي تذكره المصادر كان يمنح ويستخدم بموافقة الدولة العثمانية أم أنه كلقب كان يدل على منزلة اجتماعية نشأ محليا ؟ من ناحية أخرى حافظت الدولة العثمانية على مؤسسة المشيخة التي كانت استمرارا لمؤسسة امارة العرب التي وجدت في العهد الايوبي واستمرت في عهد المماليك . والذي يبدو أن المشايخ في القرى كانوا أصحاب نفوذ ولم يكونوا أصحاب سلطة الى أن بداوا يعملون كملتزمين صغار ربما باستثناء ظاهر العمر

الذي يصفه عبود الصباغ بقوله « تصار الاسم الى ظاهر عند الدولة والمشيخة عند الفلاحين » وانه كان يحارب « مشايخ الفلاحين الذين بالقرب منه ويأخذ بلادهم ويلتزمها » وأصبح لقبه كما يذكره المرادي « شيخ شيوخ البلاد الصفدية » . وعلى الارجح أنه لم يكن للشيخ في القرى في هذه المرحلة السلطة والصلاحيات وشبه الصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الشيخ في القرية المصرية في القرن الثامن عشر . حول من تلقب بهذا اللقب أنظر الشيخ حسن البوريني ( ت ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م ) ، **تراجم الاعيان من ابناء الزمان** ، ٢ م ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٩م ، ١٩٦٣م ، م ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ، الخالدي الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٦ ، ص ٣٤ ، ٤١ ، ٦٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٦ ، المرادي ، **سلك الدرر** ، م ٣ ، ص ١٨٤ ، عبود الصباغ ، **المصدر ذاته** ، ورقة ٣ ب ٧ أ ، حيدر الشهابي ، **الغرر الحسان** ، م ٢ ، ص ٦ .

عن الشيخ في مصر في القرن الثامن عشر أنظر :

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، **الريف المصري في القرن الثامن عشر** ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ — ٢٣ .

أنظر أيضا عن سياسة الدولة العثمانية تجاه القبائل واحياء المشيخة في القرن الثامن عشر : Barbir, Carl K., The Dynamics of Ottoman Rule in Damascus During the First Half of the Eighteenth Century Ph. D. Princeton 1976, PP. 135 - 139.

( ٦٧ ) لم أعثر على ترجمة أو اية معلومات عن الشيخ رافع أو الشيخ احمد مرعي .

( ٦٨ ) ان قوانين نامه الولايات العربية في الدولة العثمانية ( قوانين نامه الموصل ، القدس ، الشام ومصر ) . تذكر الفلاحين في معرض اعطائهم نصف محصول الزيتون الروماني ، وان الفلاحين كما نص قانون نامة لسواء دمشق الشام ليسوا جزءا من ملكية الارض وان اقتسامهم مخالف للقانون ، والملاحظ أن الفلاحين في القرن الثامن عشر في بلاد الشام أصبحوا قوة محلية ذات رئاسة متمثلة بالمشايخ . ويلمس من يقرأ **الروض الزاهر في تاريخ ظاهر** ، ان عبود الصباغ يكثر من استخدام هذا المصطلح مثل « ... والمشيخة له عند الفلاحين » وانه كان « ... يصطبر على الفلاحين لثاني سنة فلأجل ذلك كانت الفلاحين داخل البلاد جميعا يحبوه » ورقة ٣ ب ، ٦ أ ، ١٦ ب ، حول كلمة فلاح في قوانين نامة أنظر :

Barkan, O. L., Kanunlar, Istanbul 1945, PP. 122, 178, 217, 226, 359 - 72.

انظر ايضا الخالدي ، الصفدي عن الفلاحين في شمال فلسطين ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

( ٦٩ ) يذكر الخالدي نهرا في لحف جبل الكرمل اسمه نهر السعادة فلربما كانت الارض المجيطة به تسمى أرض السعادة ، الخالدي ، الصفدي ، **المصدر ذاته** ، ص ١٩٣ .

( ٧٠ ) اي اراضي الاسرة الحارثية ، ثم يذكر عبود الصباغ أن ظاهر العمر فيما بعد صار يتغلب على بلاد حارثة ويأخذها من مشايخ الفلاحين التي بها ، الروض الزاهر ، ١٠ أ ، ب ، حول اسرة الحوارث ، انظر الملاحظات المذكورة في هامش رقم ٣٥ أعلاه .

( ٧١ ) ان المصادر التاريخية المتوافرة لدينا غير واضحة في المادة التي توردها عن ظاهر العمر الزيداني ، فمثلا المرادي ( ت ١٢٠٦ / ١٧٩١م ) وهو من اقدم المصادر عن ظاهر يترجم له تحت حرف العين فيقول : « عمر بن صالح الملقب بالظاهر الصفدي الزيداني حاكم مدينة عكا وشيخ شيوخ البلاد الصفدية صاحب المواقع الشهيرة الخارج عن طاعة الدولة العثمانية مولده بصفد سنة ست ومائة وألف ( ١٦٩٤م ) ومن غريب الاتفاق أن هذا التاريخ اعني تاريخ مولده موافق لعدد لقبه ظاهر ... وكان والده وجده واعمامه حكاما بصفد وعكا ويعرفون ببني زيدان وهم حمولة كبيرة » من هنا يظهر لنا حسبما جاء عند المرادي أن اسمه عمر وان اسم أبيه صالح وظاهر هو عبارة عن لقبه . واذا عدنا الى تاريخ ميخائيل نقولا الصباغ ( ت ١٨٦١م ) نجده يذكر أن الاسرة كانت تسكن في معرة النعمان وان كبيرها كان اسمه علي وان ابنه الذي تولى مشيخة العائلة كان اسمه عمر تزوج من السردية فانجبت له ثلاثة أولاد : علي توفي بعد والده عمر ، وسعد وظاهر ، وان الاسرة بقيادة عمر هاجرت الى الجليل « وقاموا جميعا جهزوا حالهم وشدوا رحالهم وسافروا ونزلوا عند قيسارية فاقاموا قليلا فما اعجبهم ذلك المكان لقبحه وخرابه فانتقلوا الى نواحي الاردن الى طبرية ونزلوا بكبير قومها وبأهلها فأعجبتهم فاستوطنوها ورأوا اراضيها خصبة فاستفلحوا بها واشتروا الغنم والبقر وأخصبت معهم تلك السنة وكان ذلك سنة ١٧٠١ وكان ظاهر له من العمر اثني عشر سنة » وفي سنة ١٧٣٠م انتقلوا من طبرية الى قرية مرابة ، فمن المعروف أن قيسارية تقع قريبة من جنوبي حيفا وربما كان جد ظاهر اسمه احمد زيدان ، او ان احد اقاربه كان يحمل هذا الاسم وعرفت الارض به بعد انتقال العائلة من قيسارية الى طبرية ثم فيما بعد الى مرابة . انظر المرادي سلك الدرر ، م ٣ ، ص ١٨٤ — ١٨٧ ، عبود الصباغ ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، ورقع ، أ — ٣ ب ، ميخائيل نقولا الصباغ ، تاريخ ظاهر العمر ورقع ١ أ — ٣ أ ، حيدر الشهابي ، الغرر الحسان ، م ٢ ، ص ٦ ، ص ٧ . انظر أيضا الرسالتين اللتين نشرهما عيسى اسكندر المعلوف بعنوان « تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني » المشرق ، م ٢٤ ، ( ١٩٢٦م ) ، ص ٥٣٩ — ٥٦٠ ، حول ابناء واقارب ظاهر انظر :

Cohen, Palestine in the 18th Century, PP. 8 - 10, 14, 25, 34, 46, 58, 81, 84, 85, 95 - 96.

حول قيمة مخطوط عبود الصباغ انظر :

George, Haddad, "The Chronicle of Abbud al - Sabbagh and the fall of Daher al - Umar of Acre" al - Abhath, Vol. XX (1961), PP. 37 - 44.